المصدر: الاهرام العربى
التاريخ : ٢٧ يوليو ٢٠٠٢

ثلاث دول وثلاثة أديان

نيروبى تتجاوز الخطوط الحمراء بعصا واشنطن

سياسات الإنجليز، وليس الدين، هى التى جعلت جنوب السودان يطالب بالانفصال، لكن الدين بقدرة مؤسسات التبشير أصبح عنصر الصراع الرئيسى فى السودان طيلة 19 عاماً هى عمر الصراع الدامى فى السودان. وإذا كان البريطانيون قد رحلوا، فإن دانيال آراب موى أكمل المسيرة فى ماجاكوس، فى اجتماع سرى، بين الحكومة السودانية وحركة جارانج المطالبة بالانفصال، الذى أصبح واقعاً منذ الآن بغض النظر عن السنوات الست القادمة.
وقد يكون السودان، بعد هذه السنوات، ثلاث دول وثلاثة أديان، كما رغبت واشنطن، وأراد دانيال آراب موى والقوى الإفريقية الأخرى، التى يمكن أن تكون تجاوزاً لكل الخطوط الحمراء منذ استقلال إفريقيا.

تقرير. أسماء الحسينى

فخلافا لما توقعته دوائر كثيرة، فاجأت الحكومة السودانية والحركة الشعبية الجميع بالتوصل إلى اتفاق حول إطار للتفاوض لأول مرة، خلافاً لما كان يحدث فى الجولات السابقة من مفاوضات الإيجاد، والتى لم تستطع التوصل إلى أى حد أدنى من الاتفاق.

وحتى يمكن تقييم اتفاق نيروبى يجب أن نلقى الضوء على الأجواء المحيطة بالسودان، والتى ألقت بظلالها على الاتفاق الذى تم توقيعه.

أولا: ظروف الحرب فى جنوب السودان: والتى امتدت فى اندلاعها الأخير حوالى عشرين عاما، وهى حرب نشأت بسبب الاستعمار الإنجليزى الذى أقر سياسات خاطئة، خلقت وغذت أحاسيس بالغبن السياسى والظلم الاقتصادى والاحتقار الاجتماعى لدى أبناء جنوب السودان.

ولم تنشأ الحرب فى جنوب السودان لأسباب دينية، وهى ليست حربا دينية ولكن الدين أصبح أحد العوامل التى تغذيها، وأصبح كل طرف من أطراف النزاع يستخدم الدين كوسيلة من وسائل تأجيج الصراع، وبهذا أصبحت الكنائس العالمية أحد الأطراف الأساسية المتحكمة فى الصراع فى جنوب السودان.

إضافة إلى العديد من الأطراف الإقليمية والدولية التى لعبت دورا فى تغذية الصراع المسلح فى السودان، إما لأن ذلك يعكس فى أحد جوانبه تعاطفا فعليا مع أبناء جنوب السودان، الذين تعتبرهم بعض دول الجوار الإفريقى ودول وجهات غربية أفارقة مسيحيين فى مواجهة عرب الشمال المسلمين، أو لأن بعض تلك الدول تستفيد بالفعل من الصراع الدائر ماديا واقتصاديا، عبر كون تلك الدول أصبحت محطات لنقل المعونات ومواد الإغاثة الدولية، أو عبر تصفية تلك الدول لحساباتها مع الحكومة السودانية، أو فى إطار تصفية الحسابات مع مصر والضغط عليها فيما يتعلق بموقفها من القضية الفلسطينية وتهديدها بفصل الجنوب بما فيه من تهديد لمياه النيل وللأمن القومى المصرى، فضلا عن وجود جماعات ضغط قوية متشددة فى رؤاها تدفع باتجاه تصعيد الحرب أو تغذيها بطريق أو بآخر.

وقد وصل طرفا الحرب فى جنوب السودان فى السنوات الأخيرة إلى قناعة بأن الحرب لن يتم حسمها عسكريا، وأنه لا سبيل لحسمها إلا عبر التفاوض والحل السلمى، وذلك بعد فشل الحركة الشعبية التى يتزعمها جون جارانج والمعارضة المتحالفة معها من إسقاط الحكومة رغم السند الدولى والإقليمى الكبير الذى توافر لهما لسنوات. وكذلك توصلت الحكومة إلى قناعة بأنه لا سبيل للقضاء على حركة جارانج، وأنه لا يوجد من يضمن لها خروج آلاف مثله، إذا تم القضاء عليه، ما لم تحل المشكلة الأساسية التى خرج من أجلها.

ووجدت الحكومة نفسها تنفق الجزء الأعظم من ميزانية الدولة على الحرب، ولم يعوضها البترول الذى تم اكتشافه واستخراجه فى ظروف بالغة الصعوبة، بل أصبحت الحكومة مطالبة بتقديم كشف حساب يثبت للعالم وللمنظمات الدولية أنها لا تستخدم عوائد البترول فى حرب الجنوب.

كما وجدت الحركة الشعبية نفسها فى ظروف صعبة بعد أن ملت وضاقت كثير من الجماعات والدول المؤيدة لها إقليميا ودوليا من حرب الجنوب التى طال أمدها، والتى تنفق عليها تلك الدول والجماعات ملايين الدولارات دون طائل، حتى أصبحت جماعات الضغط فى تلك الدول الغربية تطالب بحل حاسم لمشكلة الجنوب، إما بفصله نهائيا أو بتصعيد الحرب حتى إسقاط الحكومة السودانية.

وانعكست آثار الحرب المدمرة بشكل رهيب على كل شبر فى أنحاء السودان، وعلى حياة كل أسرة، فالأموال التى كان يجب أن تذهب للصحة والتعليم والزراعة والبناء والتنمية التهمتها جميعا الحرب التى لا ترحم، فأصبح للسلاح والذخيرة فى كل الأحوال أولوية قبل

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

حليب الأطفال وطعام الجائعين ودفاتر التلاميذ باختصار أكلت الحرب الأخضر واليابس.

ثانيا: الظروف الإقليمية والدولية: وقد شهدت السنوات الأخيرة انفتاحا من الحكومة السودانية على دول الجوار والعالم، ورغبة فى تحسين علاقاتها، وهو ما أسفر عن نتائج إيجابية، كان أبرزها نجاح السودان فى رفع العقوبات الدولية المفروضة عليه من مجلس الأمن، وفى تحسين علاقاته بالدول العربية ودول الاتحاد الأوروبى ودول الجوار، وكان آخرها التحسن النسبى فى العلاقات مع الولايات المتحدة بعد التعاون الكبير الذى أبداه السودان بعد احداث 11 سبتمبر فيما يسمى مكافحة الإرهاب.

كما حققت الحكومة نجاحات أخرى داخلية على صعيد الوفاق الوطنى، تمثلت فى عودة كثير من المعارضين إلى داخل السودان وفى استخراج البترول وهو ما مثل دعما للحكومة السودانية، وخلق رغبة لدى المجتمع الدولى وبعض دول الجوار فى المساهمة فى تحقيق السلام فى السودان، الذى ستكون عوائده عليهم أفضل من الحرب فيه.

وفى مقابل نجاحات الحكومة على هذا الصعيد كانت الحركة الشعبية تقوم بحركة مماثلة استطاعت من خلالها عقد اتفاقات وتحالفات مع العديد من القوى السياسية الشمالية والجنوبية، والظهور بصورة من يمثل السودان كله، وسعت كذلك للتأثير فى السياسة الأمريكية والأوروبية تجاه السودان.

وظلت العلاقة بدول الجوار الجنوبية محل شد وجذب من الحكومة والحركة، فبينما تحسنت علاقات بعضها مع الحكومة التى تربطها بها مصالح اقتصادية، ظلت علاقات بعضها الآخر بالحكومة تتذبذب بين مد وجزر، وهو الموقف ذاته الذى وجدت الحركة نفسها به، حيث أصبح مطلوب منها وقف نشاطها وتقليص وجودها فى بعض تلك الدول.

أما الولايات المتحدة فتعاظم اهتمامها فى السودان، بسبب المصالح الاقتصادية، التى تحركها باتجاه البترول السودانى، الذى سبقتها الصين إليه، وقد ألقت أحداث 11 سبتمبر بظلال كثيفة على موقع السودان فى خارطة الأولويات الأمريكية، وأعطت تلك الأحداث فرصة لواشنطن لممارسة كل أنواع الضغوط على الخرطوم، التى تعاونت معها بكل السبل الممكنة، إلا أن واشنطن لم تكتف بذلك وظلت تمارس المزيد من الضغوط للحصول على مزيد من التنازلات، ولم ترفع الخرطوم بعد من قائمة الدول الراعية للإرهاب، كما لم ترفع العقوبات الاقتصادية التى تفرضها عليها من جانبها حتى الآن.

ثالثا: الظروف الداخلية لكل من الحكومة والحركة: فلم يعد أى من الطرفين قادرا على تقديم مبرر لمواطنيه حول سبب استمرار الحرب، فضلا عن التناقضات الداخلية التى يحويها كل طرف.

رابعا: المبادرات المطروحة: وقد تعددت تلك المبادرات بشكل مخيف، وإن كان أبرزها الإيجاد وقد تحولت إلى مبادرة شبه ميتة، بعد سنوات من التفاوض غير المجدى بين الحكومة والحركة، فجاءت واشنطن لتضخ الدماء فى جسدها من جديد فى جولتها الأخيرة.

أما المبادرة المصرية ـ الليبية فقد ظلت تراوح مكانها رغم شموليتها وقبول جميع الأطراف السودانية لها، وذلك لأكثر من سبب، أولها استبعادها لحق تقرير المصير الذى تراه مصر وليبيا مقدمة طبيعية لفصل جنوب السودان بينما يراه الجنوبيون حقا لا يمكن التنازل عنه ويرون فى استبعاده انتقاصا لحقوقهم، ولمعاداة بعض دول الجوار الإفريقى لها باعتبارها مبادرة عربية فى مواجهة مبادرة الإيجاد الإفريقية، ثم لتلكؤ بعض الأطراف السودانية فى التعامل معها، وافتعال الأسباب لتعطيلها، وأخيرا لعدم وجود آلية للضغط على الأطراف المتفاوضة للوصول إلى حل.

وأمام ظروف الحرب فى الجنوب والظروف الداخلية لكل من الحكومة والحركة والظروف الإقليمية والدولية كان خيار وقف الحرب هو الخيار الرابح الوحيد لكلا الطرفين منطقيا.

وكان المطلوب من الوفدين المتفاوضين اللذين تم عزلهما فى منتجع ماجاكوس بالقرب من العاصمة الكينية نيروبى لأسابيع واضحا ومباشراً للغاية، وهو الوصول إلى إطار للحل يحسم المسائل الأساسية المختلف عليها، ويمهد الطريق للجولة القادمة من المفاوضات الشهر المقبل، وباختصار كان الضغط الأمريكى كبيرا، يساعده فرق من الخبراء النرويجيين والبريطانيين، ولم يكن هناك بد من مقاومته، وكانت الرسالة واضحة تماما للطرفين إما الوصول لاتفاق طوعى أو فتح المجال أمام حل قسرى، كما حدث فى عدد من مناطق العالم، وهو ما يجعل جميع الخيارات مفتوحة ■

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية